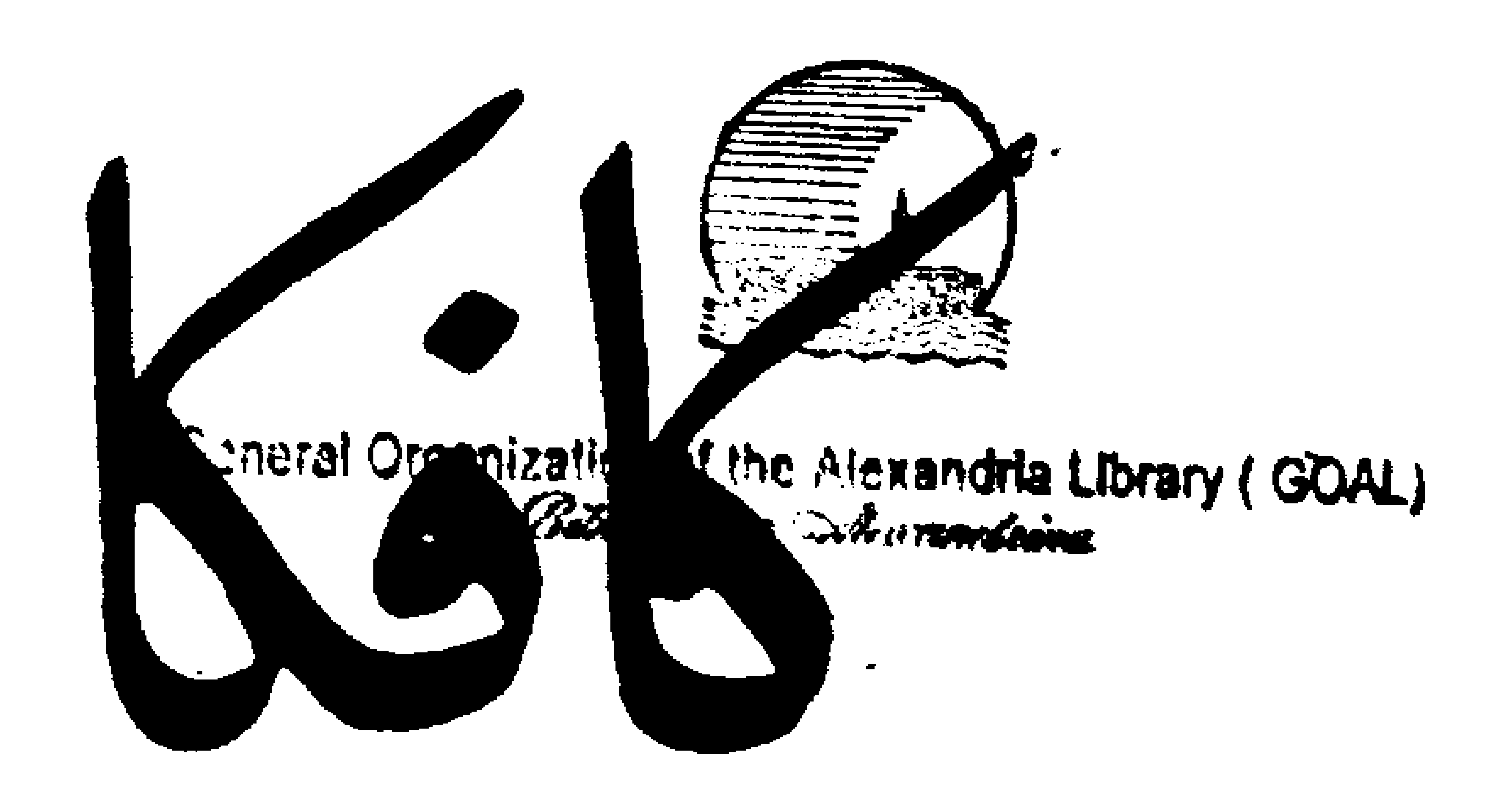
كافكا

مأساته وأعماله

الدكتور
مجدي وهبة







General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

كافكا

مأسـاته وأعمـاله

مراجعة الاستاذ الدكتور

مجـدى وهبـه

الاستاذ بجامعة عين شمس

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

صبا موزع بين شوبنهور وديه ساد

ولد فرانزاكافكا Franz Kafka من أسرة يهودية المـانية فى براغ الان، عاصمة تشيكوسلوفاكيا .فى ٣ من يوليو١٨٨٣• وكان والــده هيرمان Hermann كافــكا (١٨٥٢ / ١٩٣١) قد تزوج من والدته جولى Tulie ليفى/كافكا (١٨٥٦/١٩٣٤) فى ١٨٨١ • وقــد وصفت والــدة كافكا بأنهـا كانت « رقيقــة وحساسة » ووصف والده بأنه كان « ضخما وعنيدا » • وقد رزق والدا كافكا بعده بثلاث بنات : ايلى Eli فى ١٨٨٩ ، وفالى Vali فى ١٨٩٠ واويلا Othela فى ١٩٠٢ • وتوفى لفرانز كافكا شقيقان بعد ولادتهما بقليل • ومن المحزن ان أخوات كافــكا الثلاث قد قتلن فى المعسكرات النازية خــلال الحرب العالمية الثانيــة •

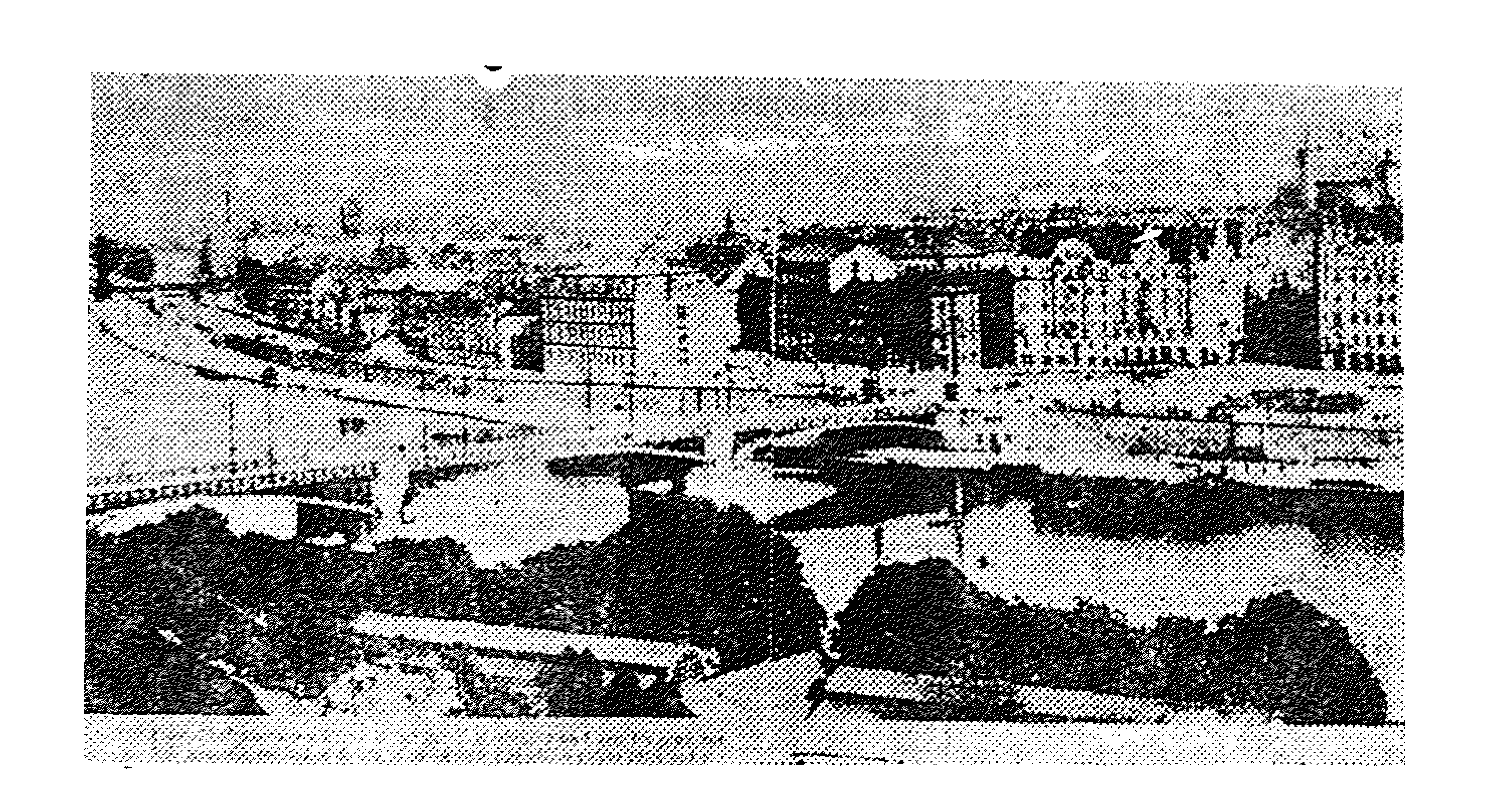
وقد دخل فرانز كافكا المدرسة الأولية فى فليش ماركيت ببراغ سنة ١٨٨٩ • وتدرب وهو لا يزال طالبا بها على العزف على البيان والكمان • ولكنه لم يتفوق فيهما ، ولم يقبل طوال حياته على الموسيقى ، خصوصا الموسيقى الألمانية الصاخبة ، وفضل عليها بعد ذلك الموسيقى الفرنسية الدافئة • وأكد هذا فى بعض كتاباته بعد استماعه فى ١٩١١ لموسيقى برامز ثم غيره من الموسيقيين الفرنسيين •

وفى ١٨٩٣ ، انتقل كافكا فى دراسته الى المرحلة الثانوية ، فدرس بالمدرسة الألمـــانية ببراغ حتى عام ١٩٠١ • وفى نهاية هذه المرحلة ، أخذت ميول كافكا الأدبية تتضح ، فأخذ يتردد على الندوات الأدبية ، ويدرس كتـــابات الفلاسفة والعلماء والأدباء ، ويتعرف على بعض أدباء براج • وكان ممن تعرف عليهم وقتئذ صديقه اوسكار بولاك Pollack •

وقد تميزت الفترة الأولى من حيـــاة كافكا ، فى صـــباه وشبابه ، بالجد والصرامة • فقد أقبل على دراسة حياة العالم البيولوجى داروين والفيلسوفين سبينوزا ونيتشه وأعمالهم • كما أقبل بعد ذلك بقليل ، على دراسة الأدباء الألمـــان ، ومن أهمهم جوتيه ، وبعض الفرنسيين ، ومن أحبهم الى قلبه فلوبير وفـــونتين • وظل كافكـــا يردد طوال حيـــاته عبارة فلوبير « العيش على الطبيعة Dans le vrai » •

وفى هـــذا الوقت ، تعرف كافـــكا أيضـــا على صـــديقه هوجو بيرجمان Bergmann ثم انتقل فى ١٩٠١ الى فـــرع الجامعة الألمانية ببراغ ، ثم الى مركزها فى ميونيخ ، بألمانيا ، لدراسة القانون •

وقد تعرف كافكا فى ١٩٠٥ على صديق عمره ماكس برود Brod الذى ذكر أن صداقته به قد بدأت بمناقشة فلسفية جـــرت عقب محاضرة حضراها معـــا عن شوبنهور فى النادى الأكاديمى ببراغ • ويقول برود أن دراسة شوبنهور وقتئـــذ كانت موضة العصر • وقد احتلت فلسفة شوبنهور ، فى اعتبار برود ، ركنا أساسيا وهاما فى التكوين العقلى لكافـــكا ، مثلما



منظر عام لمدينة براغ فى الوقت الذى ولد فيه كافكا

احتلت مؤلفاته ركنـــا هاما من أركان المــكتبة التى خلفها بعد وفـــاته • ويضيف صديقه جوستاف يانوش Janouch أن شوبنهور كان هـــو الأساس الفلسفى فى تكوين كافـــكا ، وان المركيزديه ســـاد كان هو متجهه المأسوى • وينقل عن كافـــكا انه قال : «ان المركيزديه ساد هو القديس الحقيقى لزماننا» •

وكان كافكا يعتبر نفسه ، منذ الصغر ، أحد أفراد عائلة والدته ليفى Lowy ، وليس أحد أفراد عائلة والده كافكا ، كما جرت العـــادة فى أوروبا • وربما كان السبب فى هـــذا هو أن العلاقة بينـــه وبين والده لـــم تكن دائما على ما يرام ، أو أن علاقاته ببعض أفراد عائلة والدته من المبرزين فى أمور الطب والمحـــاماة ، وفى الوسط الأسرى والاجتماعى ، كانت أكثر من جيدة •وقد قضى كافكا أكثر أجازته الصيفية فى عام ١٩٠٢ مع خـــاله الطبيب سيجفريد ليفى فى شيلسين وتريش ، وتعـــرف خلال هذا الوقت على الأديبين فليكس فيلتشت Weltscht وأوسكار باوم Baum• والتحق خـــلال دراسته الجامعية ، فى ١٩٠٦ ، بمكتب خاله المحامى ريتشارد ليفى فى براغ •

ويلوح أن والد كافـــكا ، الساخر منه أحيانا ، والقاسى عليه فى أحيان أخرى ، لم يكن يرحب بعلاقات ولده وطريقـــة اختياره لأصدقائه • وقد لامه لوما شديدا على صداقته لقريب والدته الممثل اليهودى اسحاق ليفى • وانعكس هـــذا الوم ، وهذه الشدة ، بعد ذلك ، على حياة كافكا وأعماله ، حتى كتب لوالده فى خطابه الشهير عام ١٩١٩ :

« • لقد قارنتة (يقصد اسحاق ليفى) من دون أن تعرفة ، بالحشرة » •

وقد كتب يانوش فى وصف فرانز كافكا :

« كان شعره بنيـا وممشطا الى الوراء •• وكان أنفـه واضح البروز ، وعيناه رماديتين مع زرقة خفيفة ، وفوقهما جبهـة عريضة • وكانت ترتسم على وجه كافكـا على الدوام شبح ابتسامة حزينة • وكان وجهه الشاحب يصطبغ بالسـمرة • وكان كافكا كثيرا ما يستعين فى كلامه بأعضاء جسمه ووجهه ، واذا استطاع أن يكتفى بحركة من حركات تلك الاعضـاء عن الاجابة بلسانه ، فعل • وكان بسيطا ، خجولا ، فكأنما يقول لمن يحدثه : أرجوك • اننى أقل كثيرا مما تظن•وانك لتستطيع أن تسدى الى خدمة كبرى اذا ما تجاهلتنى » •

الأشباح تطارد كافكا

حصل كافكا فى ١٩٠٦ على أجـازة القانون من الجامعة الألمانية ، وقضى عامه التالى فى التمرن بمحاكم براغ ، ثـم التحق فى ١٩٠٧ بفرع شركة التأمينات العـامة الايطـالية فى براغ • ولكنه فى عام ١٩٠٨ ، انتقل الى وظيفة حكومية فى معهد تأمينات اصابات العمـال فى براغ • وقد استمر كافكا فى هذه الوظيفة الجديدة حتى تقـاعد منها لأسـباب صحية بعد ذلك بأربعة عشر عـاما •

وفى نفس الوقت ، أخذ كافكا يتردد على مجالس وندوات الأدب فى براغ ، فانضـم الى الجمعية الأدبيـة فيها ، ووثق صلته بأدبائها • وكان يكتب القصص والأشعار • وقد نشر فى ١٩٠٩ أولى أشعاره فى المجلة الأدبية Hyperion ثم فى Bohemia اللتين كانتا تصدران فى براغ • وفى آخر هذا العام زار مع ماكس برود مدينتى ريفا وبريسيا ، وعاد من رحلته كى يكتب قصته « طائرات بريسيا » •

وفى مايو ١٩١٠ ، بدأ كافكا فى تحرير يومياته ، واستمر فى عمله هذا ، الا خـلال فترات قصيرة ، حتى يونيه ١٩٢٣ • وكان كافـكا يكتب مذكراته على صفحات من ورق الكوارتو ، ويجمعها معا فى كراسات •

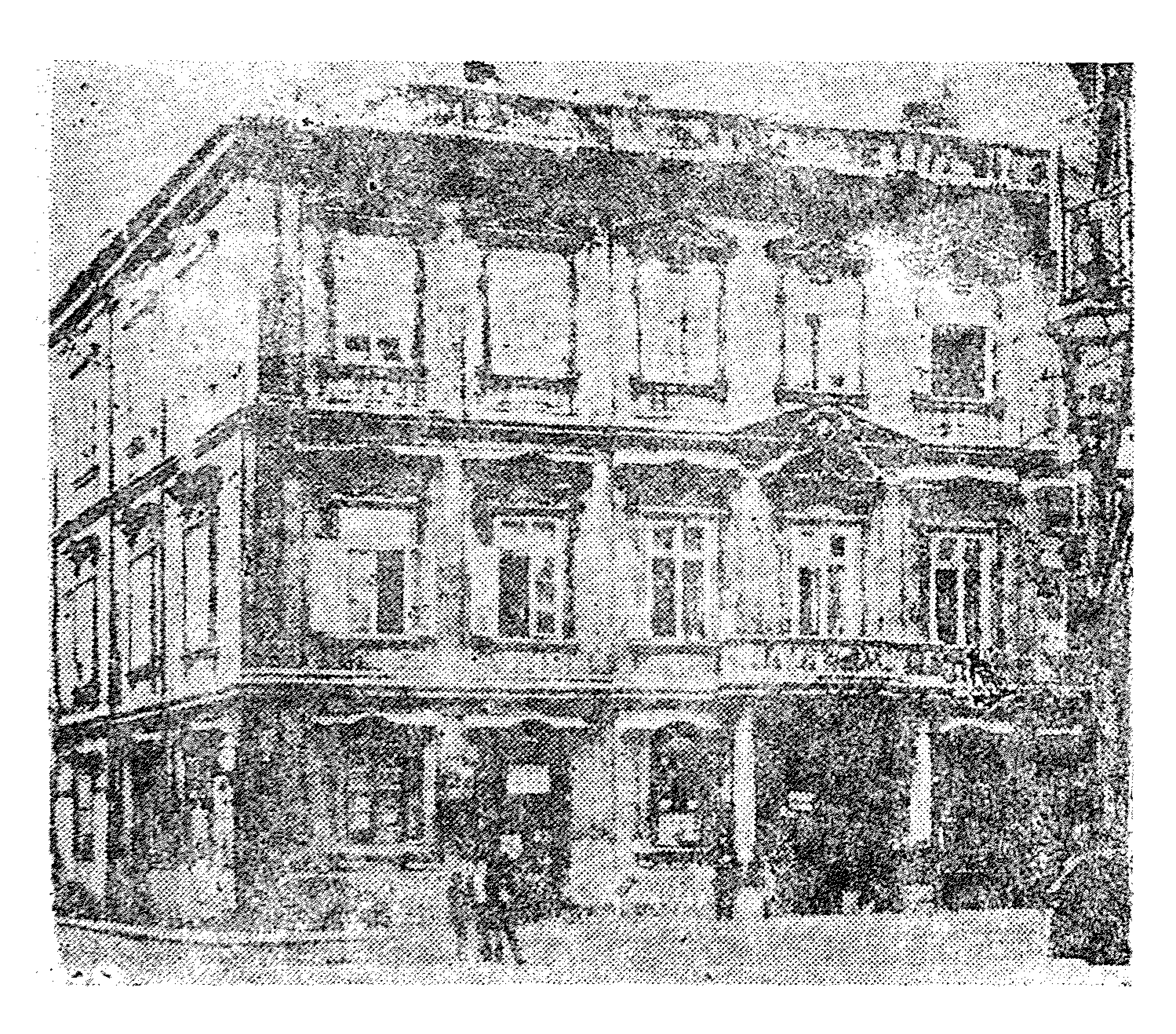
وبين اكتوبر وديسمبر ١٩١٠ زار مع اوتو برود Brod مدينتى باريس وبرلين • وسافر فى بداية ١٩١١ فى رحلة عمل الى فريدلند فريشنبرج • ثم قضى الصيف مع ماكس برود فى زيوريخ ولوجانو وميلانو وباريس • ولكن فى نهاية الصيف ، شـــعر كافكا باعتلال صحته ، فأضطر لدخول مصحة عامة فى ايرلنباخ قرب زيوريخ • ولمـــا خرج منها كتب دراســـتيه عن « اجراءات منع الحوادث فى المصانع والمزارع » و « التأمين على حوادث العمال » •

وفى ١٩١٢ شغل كافكا بدراسة الفنون والآداب اليهودية، وألقى فى بداية العام محاضرة عن اللغة اليهودية • ويلوح أن الممثل اليهودى اسحاق ليفى هو الذى أغواه بهذه الاهتمامات التى لم تلازم كافكا بقية حياته • فقد ظل بعيدا عن اليهودية ، بل وأعلن مناهضته للصهيونية • وقد صرح أن يهوديته تجعل منه كاتبا « غريبا » بين قرائه الألمـــان ، ثم تساءل فى احدى مقـــالاته :

« ما الذى يربطنى أنا باليهود أو اليهودية ؟ » •

وفى يوليو سنة ١٩١٢ اعتلت صحة كافـــكا مرة أخرى ، واضطر لدخول مصحة فوق جبـــال فيمار • وعند خروجه من المصحة ، تعرف فى زيارة لـــه لمنزل صـــديقه ماكس برود على فيليس باور Felice Bauer • وسنتحدث عن هـــذه العلاقة بالتفصيل فى الفصل التالى •

***



المنزل الذى ولد فيه كافكـــا فى براغ

ولكن كافكا أخـــذ يشعر ، شعورا متزايداً ، بالمطاردة • ولكن من الذى يطارده ؟ • أهى علاقته المتوترة مع والده ؟ • أهى يهوديته ؟ • أهو مرضه الآخذ فى الاشتداد عليه ؟ • أهو شعوره المتزايد بعـــدم القدرة على الزواج ؟ • أم هى هـــذه الشهوة الجديدة فى الكتابة الآخذة فى الاستبداد بعقله ؟ •

كان كافكا يردد لصديقه بولاك :

« ان الكتابة تمتعنى ، انها كل غايتى ولذتى » •

ثم يقول :

« ولكن الرب لا يريدنى أن أكتب • وكيف لى ان أطيعه » •

وكان يقول :

« أنا لست سوى بداية ونهاية •• اننى غريب بأكثر ممـــا يكون الغرباء •• اننى فى حاجة دائمة الى الوحدة ، وكل مـــا حققته لم يكن الا ثمرتها •• اننى أخاف أن أفقد ذاتى فى كائن آخر •• فأفقد مع هذا الكائن وحدتى » •

وتبلغ رهافة الحس بكافكا ، والحرص على هذه الوحدة التى يتكلم عنها أن يقول :

« اننى أخشى أن أنام ، فتهجرنى روحى ، ثم تعجـــز عن العودة الى جسمى » •

***

لم يعد كافكا ، بعـــد تلك المحاولات الأولى التى تحدثنا عنها ، يقرض الشعر • ولـــكنه تميز ، فيما كتب بعد هـــذا من قصص وروايات ، بروح الشاعر • وهو يقول :

« ان الشاعر يكون دائما أميل الى الصغر والضعف فى مجتمعه• ولكن أحاسيسه تكون أرهف من أحاسيس غيره • ووجـوده أرسخ ، وأمتن ، من وجود الآخرين » •

هـــذا الكاتب الغريب ، الوحيد ، الخائف ، المطـــارد ، الحريص على وحدته ، لثقته أنها طريقه الى الكتابة ،وانها هى التى تصـــل روحه بأرواح قرائه • لقـــد نفر كافكا من الكتابة « الجمالية » والكتاب « الجماليين » لأن هذه الأغراض •

« تتحول من أن تكون كتابة الى أن تصبح أسلوبا للحياة•• وهذا طريق خطر •• لان الحقيقة أنه اذا كان لهـــذه الاغراض حدود فى الكتابة ، فلا حدود لها فى الحياة » •

ولهذا يقول كافكا أيضا :

« لقد ظللت طينا ، ولم أســتخدم نـار شعلتى فى انضـــاجه ، وأبقيتها كى تقشع الظلمات بكتاباتى » •

أتزوجك .. وأخونك كل ليلة مـع كتاباتى ؟ !

تعرف كافكا على فيليس باور فى منزل والد صديقه ماكس برود فى براغ فى ١٣ اغسطس سنة ١٩١٢ . ثم قابلها ، وخرج معهـا مرات ، قبل أن تعـود الى برلين ، فيبادر كافـكا الى مراسلتها . وفى العام التالى ، ١٩١٣ ، زارها كافكا فى برلين ، وقضيا معا أوقاتا سعيدة .

ولم تكن فيليس هى أول من عرفهن كافكا من الفتيات . فان كتاباته تدل على انه قـد عرف فى ١٩٠٥ ، خـلال قضائه الصيف فى تزوكمانتل فتاة مجهولة لنا ، وأنه قد أغرم بها . وأما فيليس ، فاننا نعرف أنها كانت فتاة برلينية متواضـعة الثقافة والاهتمامات . وأنها قـد أحبت كافكا حبـا عارما ، وتحملت فى سبيل هذا الحب آلاما شديدة وطويلة . وهذا لأنها قـد طالبته بالمطالب الدنيوية العادية التى تطلبها كل امرأة من رجلها ، بينما أراد هو أن يكتفى منها بهذا الحب الروحى ، أو الأفلاطونى ، الذى لا يقدر عليه الا الاقلون . فقد وضع كافكا حبه فى كفة ، واهتماماته الأدبية فى الكفة الأخرى ، وكتب لهـا فى صراحة منذ ١٩١٣ :

« سأكون زوجا غير صالح ، يخونك كل ليلة مع كتاباته » •

وكتب لها أيضا :

« ان جسمى كله ينفر من الزواج ، اذ أننى سأعرض بزواجى اهتماماتى الأدبية للخطر » •

ولـــكن فيليس كانت ترد عليـــه : « ان كل منا ينتمى ، يا حبيبى ، للآخر ، وبلا أية شروط » • فيرد عليها كافكا :

« هذا حقيقى ، يا حبيبتى ، حقيقى ألف مرة » •

ولكن الاعمال الأدبية ، كما يقول كافكا لبرود :

« شيطانية ، من عمل الشيطان ، حتى وان لم تكن سيئة » •

ويكتب فى يومياته :

« ان ف • (يقصـــد فيليس) وروحى يتنازعان جسمى فى خلاف لا سبيل الى حـــله » •

وقد رأى كافكا فيليس خلال عطلة عيد الفصح من عام ١٩١٤ ، فى باريس ، ثـــم خطبها للزواج فى يونيـــه من نفس العام • ولكن الخطبة فسخت فى الشهر التالى • ثم تقابلا أياما فى يناير ١٩١٥ فى بودينباخ ، على الحدود الألمانية البوهيمية ، وأقرأها كافـــكا أعماله ، حتى نبهتـــه فيليس الى أنهمـــا ، فى خلوتهما « أكثر من مهذبين » •

وفى صيف ١٩١٦ تقابلا مرة أخرى فى مارينباد ، وكانت فيليس تعمل وقتها فى بيت لليهود اللاجئين الى برلين • وقد أعقب هذه المقابلة ، والتى تركا فيها العنان لشهواتهما ، للمرة الأولى والأخيرة ، خطابات حارة تبادلاها • حتى أخذ كافكا يفكر مرة أخرى فى الزواج من فيليس • وفى يوليو ١٩١٧ ، أعلنا خطبتهما الثانية والتى استمرت ستة أشهر • ولكن هذه الخطبة الجديدة انتهت كسابقتها بالفسخ •

وقد تزوجت فيليس فى ١٩١٩ من آخر • وتوفيت فى ١٩٦٠ •

***

ان قصة كافكا مع فيليس تؤكد اخلاص هذه الفتاة البرلينية لكافكا ، والعذاب الذى تحملته من أجله ، كما تؤكد على شرف كافكا الذى لم يأبه بمعارضة والده لهذا الزواج (بدعوى أن اسرتها أقل فى المستوى الاجتماعى من أسرته) بقدر ما أيقن ان اتمامه سيضر بحياته الأدبية التى وضعها فى المقام الأول • لقد حذر كافكا فيليس منذ البداية ، بأنها ستعيش مع رجل ••

« بائس ، صامت ، معذب ، مريض ، وقد يبدو لك أحيانا كالمجنون » •

وفى اكتوبر ١٩١٧ ، كتب كافكا لفيليس ، بعد تأكده من مرضه :

« ان المرض الذى أعانيه ليس الا عارضا خارجيا لما اشكو منه فى داخلى ، حيث يوجد هذا السلاح الذى أصوبه لنفسى بنفسى »•

وليس من شك أن فيليس قد أثرت تأثيرا كبيرا على حياة وأعمال كافكا • فقد أهداها قصته « الحكم » • وأعلنها بهـذا الاهداء فى خطابه لها بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤ • فقال :

« ان قصتى الحكم ستكون هى قصتك » •

ففيليس هى « اف • بى • » فى « الحـكم » التى ذكر كافكا انها ••

«ستكشف من حياة فيليس أكثر مما تعرف هى عن نفسها» •

وفيليس هى أيضا « فراولين بير سترنر » فى «المحاكمة» و « فريدا » فى « القلعة » • ويلاحظ أن كل هذه الأسماء يبدأ بالحرف الذى يبدأ به اسم فيليس باور •

كذلك تضم خطابات كافكا الى فيليس ، وخطاباتها اليه ، وهى التى استمر فى تبادلها أكثر من خمسة أعوام ، كثيرا من المعلومات والأسرار عن حياة كافكا وأعماله •

ففى ١٩١٢ كتب كافكا لفيليس :

« اننى حين أعجز عن الكتابة ، أستلقى منهكا فوق الأرض » •

وعند قيام الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٤ ، يخشى كافكا

على مصير الامبراطورية النمساوية ، ويحذر من الغوغاء التى تجوب شوارع العاصمة فيينا • ثم يلوم اليهود ••

« **لأنهم ألمان اليوم وتشيكوسلوفاكيون غدا** » •

وفى ١٩١٥ يطلب كافـكا التطوع فى الجيش التشيكى ، ولكن طلبه يرفض بعد الكشف الطبى عليه،فيكتب الى فيليس :

« **اننى اذا كنت تألمت دن شىء ، فهو أننى لم أسـاهم فى هذه الحرب بشىء على الاطلاق** » •

ثـم يقـول :

« **لقد كنت أحب أن أتطوع جنديا ، ولكن طلبى رفض** » •

خطاب كافكا يضل طريقه الى والده

تمتلىء كتابات كافـــكا بالقصص والمواقف ، الصريحة ، والرمزية ، التى استمدها من سيرته وسير المحيطين به والتى كشـــف الستار فى بعضها عن نفســـه وأسرته ، وخصوصا عن علاقاته بوالده :

« **العملاق ، الصارم ، العنيد ، بل والجلف أحيانا** » •

وقد سبق القول الى أن « الحكم » تحكى قصة فيليس « بأكثر مما تعرفه هى نفسها » • ولكنها تحكى أيضا دور الأب الرافض لزواج ابنه منها • ويذكر كافكا فى يومياته ، انه بينما كان يقرأ نص القصة لمجموعة من معارفه ، اذ صاحت احدى اخواته : « ولـــكن هذا جرى فى منزلنا » • فلم يتمالك كافكا أن قـــال :

« **وفى هذه الحالة ، يكون على أبينا ألا يبارح دورة المياه** » •

ويذكر أحد أصدقاء كافـــكا انه عند ظهور « المسوخ » حيث يتحول البائع الجائل سامسا الى حشرة هائلة ، تقابل مع كافكا مصادفة ، فقال له كافكا ضاحكا :

« **ماذا تقول فى هذه الأمور الغريبة التى تجرى فى منزلنا ؟** » •

لقد ذكر كافكا أن كتابته لقصة « الحــكم » خلال ليــلة واحدة من عام ١٩١٣ كان ..

« **نتيجة الجرح العميق ، والقلق الشديد ، الذى أحدثه فيه الرعب القاتل الذى وقع عليه تلك الليلة** » .

ولكن ، ما هو هذا الجرح العميق ؟ . ان كل ما نعرفه هو أن له علاقة بأب وامرأة .

يقول كافكا فى « الحــكم » :

« **ولم يتمالك جورج أن يلاحظ أن والده لم يزل عملاقا ، عندما قام الرجل العجوز والمريض لاستقباله عند الباب ، وقد انفتح رداؤه قليلا** » .

ماذا يقصد كافكا بقوله ان صديقه ، جورج ، قد لاحظ أن والده لم يزل عملاقا ؟ . ولماذا يعرض الابن على والده أن يستريح فى سريره ويحيطه بالأغطية ؟ .

ولمــاذا يحرك الأب سلسلة ساعة جورج ، ويرفض ان يتركها ؟ .

ومع ذلك ، يصر الأب فى « الحــكم » على معاقبة ابنه . ولمــاذا ؟ . لأن الابن يريد الزواج من فتاة غير محترمة ..

« ألأنها قد رفعت لك رداءها •• هكذا (ويرفع الأب رداءه) •• هذه المخلوقة الملعونة •• وحتى تصل الى غايتها ، لا تتورع عن الاساءة الى ذكرى والدتك ، وتخون أصدقاءك ، وتشل والدك على سريره حتى لا يتحرك • ولكنه يستطيع التحرك • نعم يتحرك • أليس كذلك ؟ » •

هذه الرمزية الواضحة التى حاول فيها كافكا فى «الحكم» ثم فى « المسوخ » ان يعالج مشاكله مع والده ، تحولت بعد ذلك ، فى ١٩٢٠ ، الى تحليل صريح ضمنه «خطاب الى أبيه» • وقد كتب كافكا خطابه من نسختين ، أرسل الأولى منهما الى والدته طالبا اليها تسليمه لوالده ، واحتفظ بالنسخة الثانية • وقد اختفت النسخة الأولى من هذا « الخطاب » • ويظن أن والده لم يتسلمها • ولعل والدته لم تقرأها هى أيضا ، أو قرأتها وآثرت اعدامها• وأما النسخة الثانية فقد وجدها ماكس برود بين أوراق كافكا بعد وفاته ، ونشرها فى ١٩٦٨ •

لماذا أرسل كافكا الخطاب الى والدته ، ولم يرسله مباشرة الى والده ؟ •

***

يتناول كافكا فى الخطاب علاقاته بوالده ، منذ كان صغيرا ، ويحاول أن يوضح أسباب « العداوة » بينهما • ويقدم تفسيراته ، بل ويعلن عن شعوره بالذنب نحو والده • وفى آخر الخطاب يسمح لوالده بأن يتكلم فى الدفاع عن نفسه ، بل ويتصدى لاتهامات ابنه له ، بأفضل (كما يقول أريك هيللر) مما كان يستطيع والده أن يفعل • كل هذا فى أسلوب واقعى ، مباشر ، وسهل •

يسرد كافكا فى خطابه قصة واقعية حدثت له وهو صغير، فانه لم يستطع النوم • وقد استمر أكثر الليل يطلب الماء • وهو يعترف فى « الخطاب » ان هذا كان بسوء نية منه «لمضايقة أبى وأمى أو لتسلية نفسى» حتى قام والده غاضبا ، فوضعه فى شرفة المنزل ، وأغلق عليه باب الشرفة فترة من الزمن ••

« ولكن هذه الحادثة ، هذا الطلب المتكرر للماء ، وهذه القسوة الصادرة من والدى ، أصبحت أمام عينى أشياء منفصلة ، لا تستطيع طبيعتى التى تربيت عليها أن تجمع بينها • وحتى بعد سنوات كثيرة ، لصقت صورة تلك الليلة بمخيلتى ، واستمر عذابى ، من أن هذا الرجل الضخم ، أبى ، هذه السلطة النهائية ، قد يجىء ، ربما بدون سبب ، فيخرجنى من سريرى فى الليل ، ويضعنى فى الشرفة • وهذا يعنى أننى لا أزيد عن مجرد شىء تافه بالنسبة له » •

يقول كافكا انه عندما كان صغيرا ، كان « محجوبا ، على الدوام ، بوجود والده المادى الضخم » • وانه كان فخورا بهذا • ولم يكن يجد الحجة التى يقارع بها هذا الوجود الهائل ، وتلك الأحكام النهائية •

« لقد تقبلت كل أمر من والدى ، وكأنه قد نزل من السماء •• ولكن هذا الاعتماد الكامل كان يفقدنى ثقتى بنفسى ، ويولد عندى أحاسيس الذنب » •

ويوضح كافكا كيف ان جهوده الهائلة للخروج من نطاق هذه السلطة الأبوية ، بالبحث لنفسه عن زيجة ، لم تقابل الا بالرفض • ثم انتهت « بخروج الدم من رئتيه » •

ويعرض كافكا فى « الخطاب » أسباب معارضة والـــده لزواجه من حبيبته فيليس :

« ربما لأنها قد ارتدت لك بلوزة من هذه البلوزات التى تحسن يهوديات براغ انتقاءها • فما أسرع ما قبلت زواجها • وعلى أن يكون هذا بأسرع وقت•خلال أسبوع واحد • بل غدا• بل اليوم • أننى لا أفهمك • أنك رجل بالغ ، متحضر ، يعيش فى المدينة، فلماذا تريد أن تتزوج من أول فتاة تصادفها ؟• لماذا أنت على هذه العجلة ؟ • أليس هناك حل آخر ؟ • اذا كنت خجلا ، فأننى أستطيع أن أصحبك الى أقرب ما خور » •

ويردد كافكا على لسان أبيه :

« أنت تتملص من كل ذنب ومسئولية • وفى هذا نتفق نحن الاثنـــين فى الطريقـــة • ولكن بينمـــا ألقى أنا التهمـــة عليك بصراحة ،وفى شجاعة ،تحاول أنت فى براعتك أن تبرئنى منها » •

الى أن يقول على لسان والده :

« انك عندما أردت أن تتزوج ، أردت أيضا ألا تتزوج • ولكنك أردت ، أن تتهرب حتى من مسئوليتك ، وأن تلقى اللوم فى عدم زواجك على أبيك • بينما لم أفكر أنا فى منعك من الزواج، وتركت لك حرية الخيار • فهل أدى مسلكى هذا الى خير ؟ • ليس فى شىء • ان معارضتى لزواجك ، ما كانت تمنعك من اتمامه • بل بالعكس ، ان معارضتى هذه كانت كفيلة بأن تجعلك تمضى فى طريقك ، لأنها تحقق لك طريق الهروب الذى تبتغيه • وأما موافقتى ، فما كانت تمنعك من القاء اللوم علىٍ لأنك تريد أن تثبت لنفســك انى العلـــة وراء عـــدم اتمـــامك الزواج » •

لحظات من السعادة التى اشتهاها وخشيها

فى ١٩١٣ ، زار كافكا فيينا والبندقية وريفا • وتعرف فى المدينة الأخيرة على فتاة سويسرية مجهولة • ثم تعرف خلال زيارته لفيليس على صديقتها جريتا بلوخ Greta Bloch وقد توثقت العلاقة بين كافكا وجريتا قبيل فسخ الخطبة الأولى بين كافكا وفيليس • ولكن هذه العلاقة لم تكن سبب فسخ الخطبة ، كما انها لم تتطور بعد ذلك ، كما يؤكد اريك هيللر ا اذ استمرت جريتا صديقة لفيليس وقت خطبتها الثانية لكافكا فى ١٩١٧ •

ومع ذلك ، فقد أدعت جريتا فى ١٩٤٠ ، بعد الشهرة التى أصابت كافكا ومؤلفاته ، انها كانت قد انجبت منه ولدا • وتصدى لتكذيب هذا الادعاء صديق كافكا ماكس برود مستعينا بخطابات كافكا الى فيليس •

وفى ١٩١٥ ، فاز كافكا بجائزة فونتانا الأدبية ، فأذاع هذا الفوز شهرته كشاعر وروائى بين الكتاب والقراء • وترك كافكا منزل والديه ، الى شقة مستقلة فى بيليك جاسه ثم فى لانج جاسه بوسط براغ • وفى آخر العام ، زار كافكا هنغاريا مع شقيقته ايلى •

وفى العام التالى ، ١٩١٧ ، اشتد المرض بكافكا ، وأكــد الكشف الطبى الدقيق فى أوائل سبتمبر اصابته بمرض السل • فانقطع كافكا عن عمله ، وانتقل للسكن عند شقيقته اوتيلا فى زيروا • وفى ١٩١٨ قام ببعض الخدمات للجمعيات الخيرية فى بــراغ •

وفى هــذا الوقت أيضا ، شغل كافــكا بدراسة فلســفة كيركيجارد ، التى أثرت فى كتاباته التالية تأثيرا كبيرا • ثــم تقابل مع جولى فوهرتزيك Juli Wohrzek فى أوائل عام ١٩١٩ ، وخطبهــا بعد ذلك بأيام • ثم فســخت الخطبة فى سبتمبر من نفس العام •

وفى ١٩٢٠ ، اشتد المرض بكافكا ، فحصل على أجازة نهائية من عمله وأخذ يتردد على مصحات مختلفة • وتعرف فى هذا الوقت على صديقه يانوش ، ثم الكاتبة التشيكية ميلينا جيسنسكا بولاك Melina Jesenska/Pollack وأهداها جميع مذكراته • ثم دخل كافكا فى ١٩٢١ مصــحة جبال تاترا • وفى بداية ١٩٢٢ مصحة بلاتا • وعندما زار برلين مع دورا ديمانت Dora Dymant التى تعرف عليها فى ١٩٢٣ ، نقــل منهــا فى ينــاير ١٩٢٤ محمــولا الى براغ • وهناك قضى أســابيع فى مصحتى فينر فالد وكيرلنج ، حتى توفى بالأخيرة فى ٣ يونيه ١٩٢٤ •

وقد دفن كافـكا فى ١١ يونيه ١٩٢٤ بالمـدافن اليهودية بـبراغ •

***

ذكر كافكا أن الزواج ••

« **يفترض الثقة بالنفس ، والا أضاف عزلة جديدة الى عزلة قائمة •• وحينئذ لا يشيد الزواج منزلا ، وانما يقيم سجنا** »•

وقد كانت وحدة كافكا ، وخوفه ، وتشاؤمه ، ومرضه ، تفرض عليه ، كلما أقدم على التفكير فيه ، أن يتراجع • أضف الى هذا خشيته من الزواج على نشاطاته الأدبية المختلفـة ، ونظرته غير السوية تماما للجنس •

يقول كافكا فى يومياته بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩١٣ :

« **ان الجنس هو العقاب الذى ينزل بنا عند بلوغ سعادتنـا المشتركة ، بينما الحياة الأفلاطونية ، بأكثر ممـا قـد يفعـل العازب ، هى طريق الخـلاص منه • ولكن ، ماذا عنهـا هى (يقصد فيليس) ؟** » •

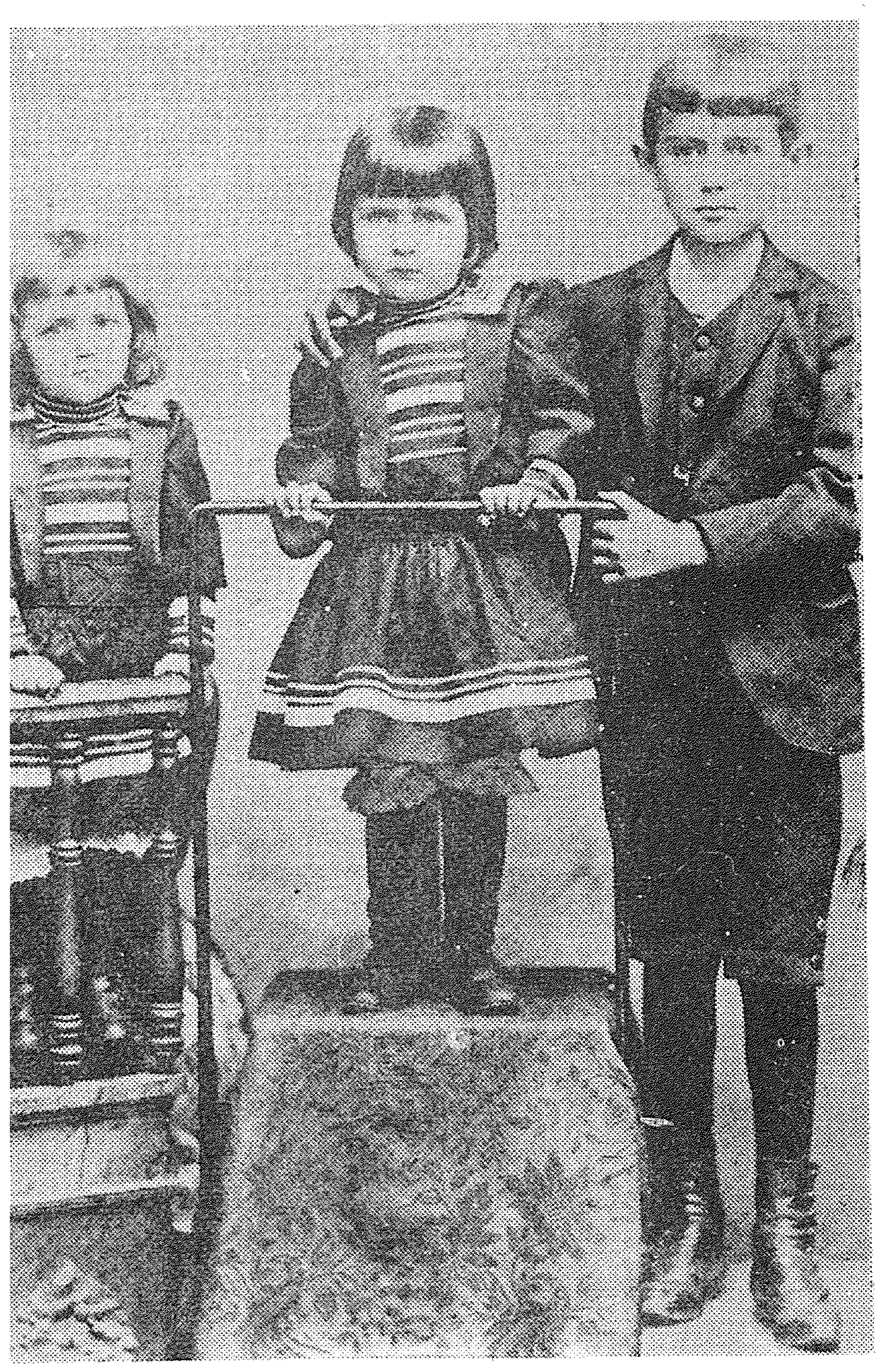
لقد تعرف كافكا فى أخريات حياته بأمـرأتين أخـريين ، الأولى هى ميلينا ، الذكية ، الجميلة ، المثقفـة ، والتى تفيض بكامل أحـاسيس الانوثة • ولكن ميلينا ، رغم حبهـا لها ، وكرمه الزائد معها ، لم تنتظره ، كما فعلت فيليس ، كى يتخذ قراره ، ثم يتراجع عنه • فتركته وتزوجت من غيره • أما المرأة

الثانية فهى دورا ديمانت ، وهى يهودية ، وابنة حاخام كاسيدى من أوربا الشرقية ،تعرف عليها كافكا فى أخريات أيامه ،ورعته خلال أسابيعه الأخيرة فى مصح كيرلنج قرب فيينا • وقد حنت عليه دورا حنوا شديدا ، ولم تبخل عليـــه بشىء مما يمكن أن تبخل به امرأة على رجل • ولعل تلك الأيام الأخيرة مع دورا، والساعات القليلة التى قضـــاها مع فيليس فى مارينباد عام ١٩١٦ ، هى كل ما عرف كافكا من تلك السعادة التى اشتهاها وخشيها فى آن واحد •

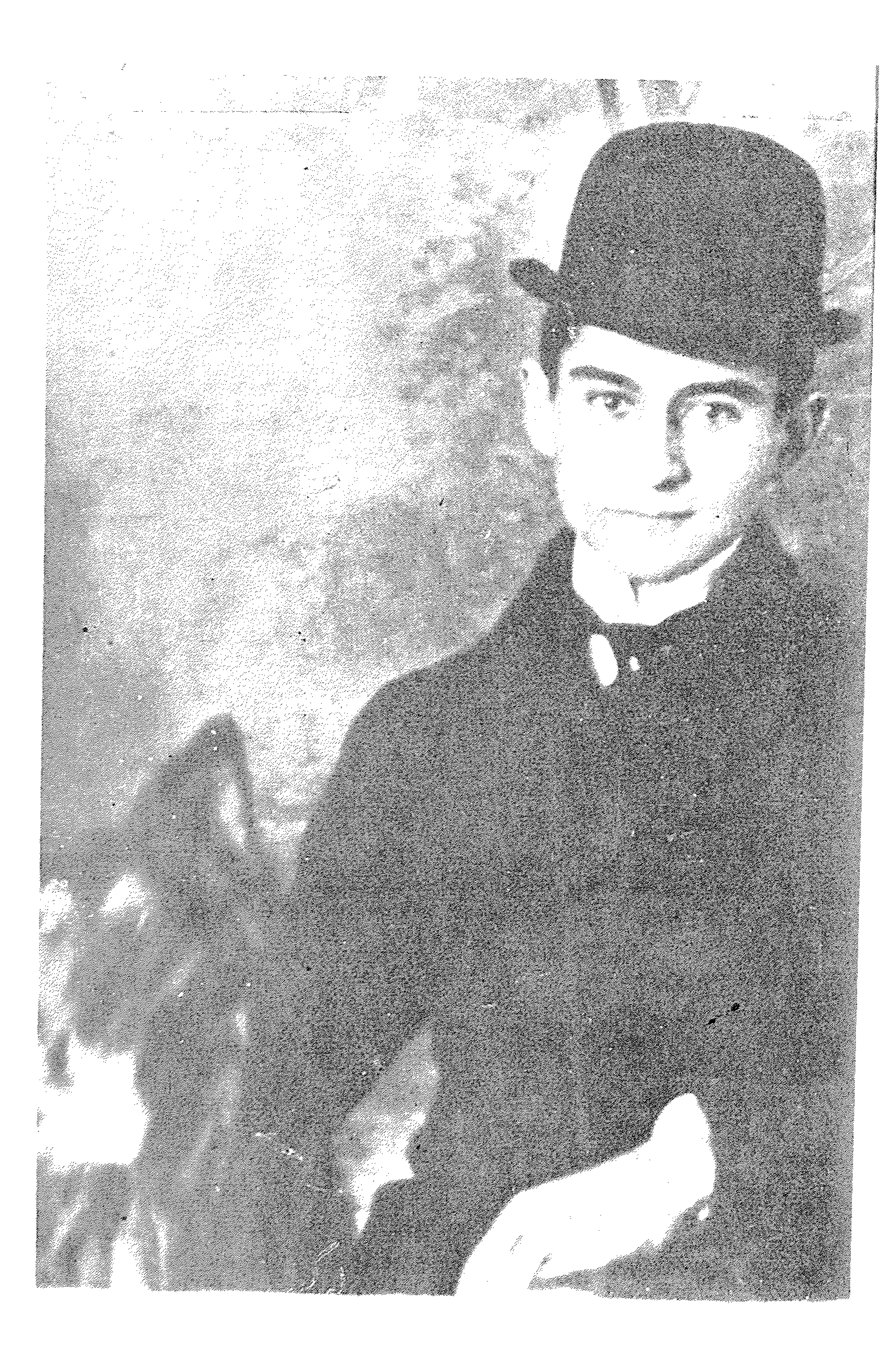


كافكا فى التاسعة

كافكا فى الخامسة

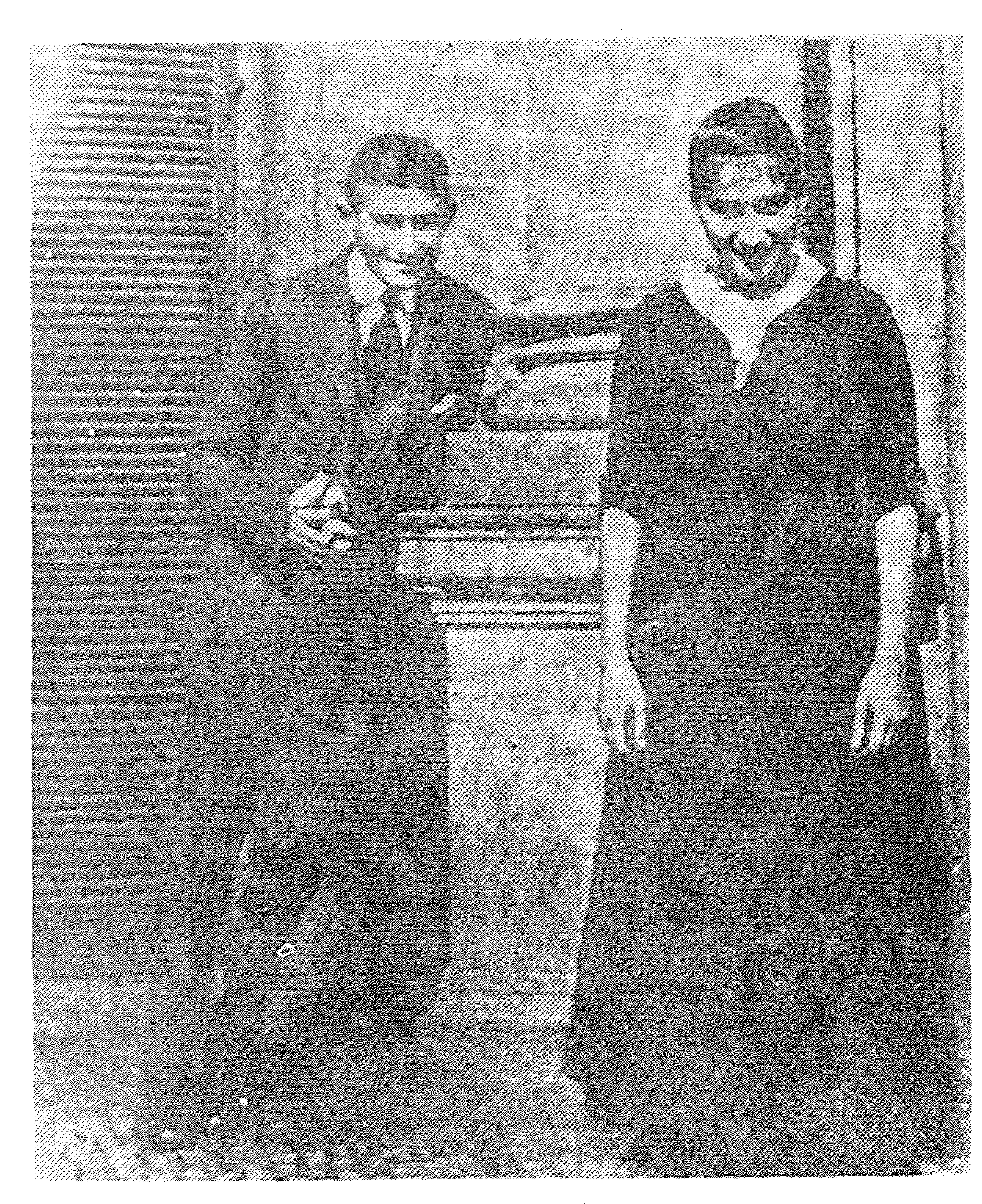


كافكا مع شقيقتيه إيلي وفالي

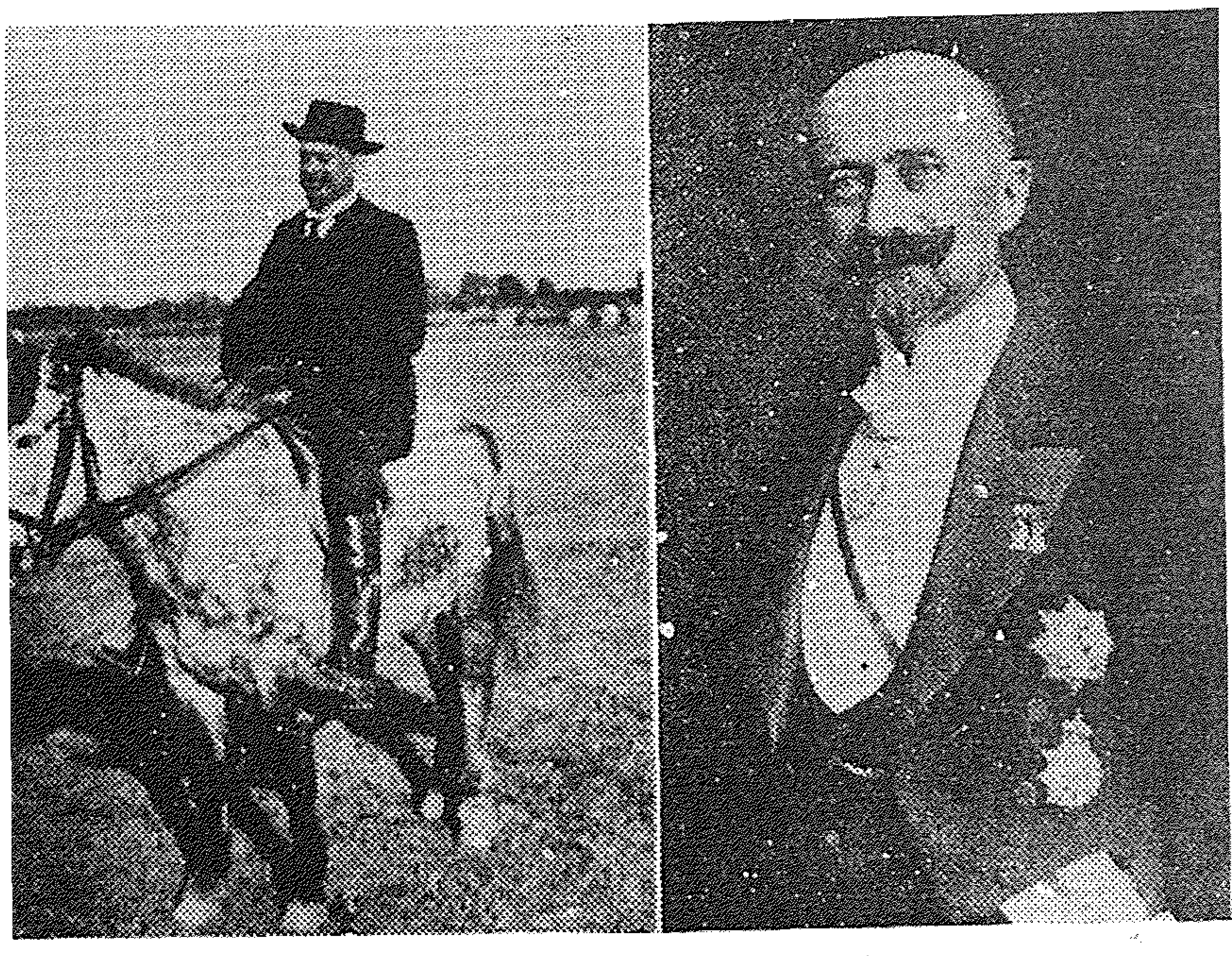




والد كافكا　　　　والدة كافكا



كافكا مع شقيقته أوتلا



العم سيجفريد

العم الفريد لوى



كافكا فى عام ١٩٢٢

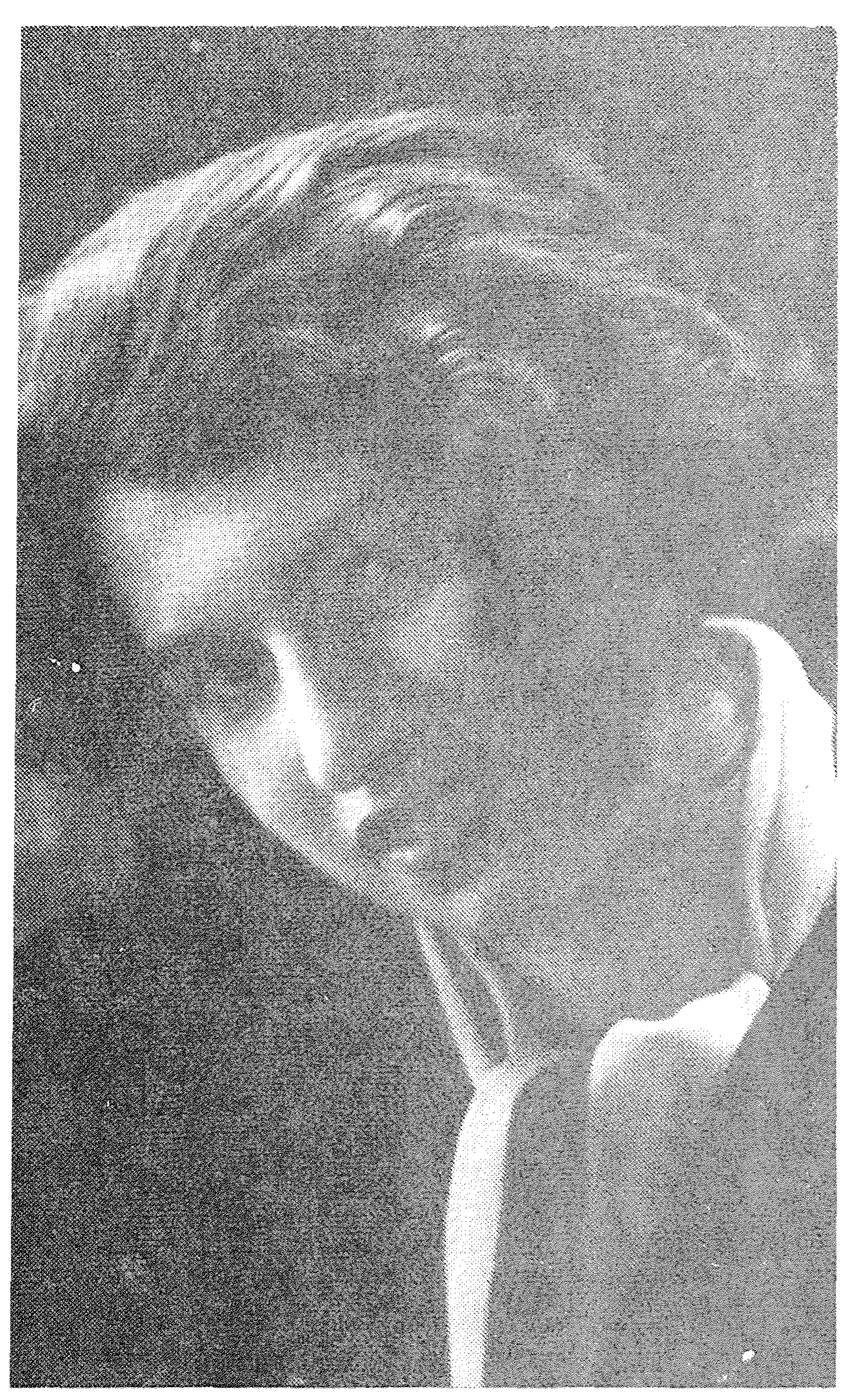
كافكا فى الثانية عشرة



كافكا في الرابعة عشرة



کافکا مع فیلیس باور



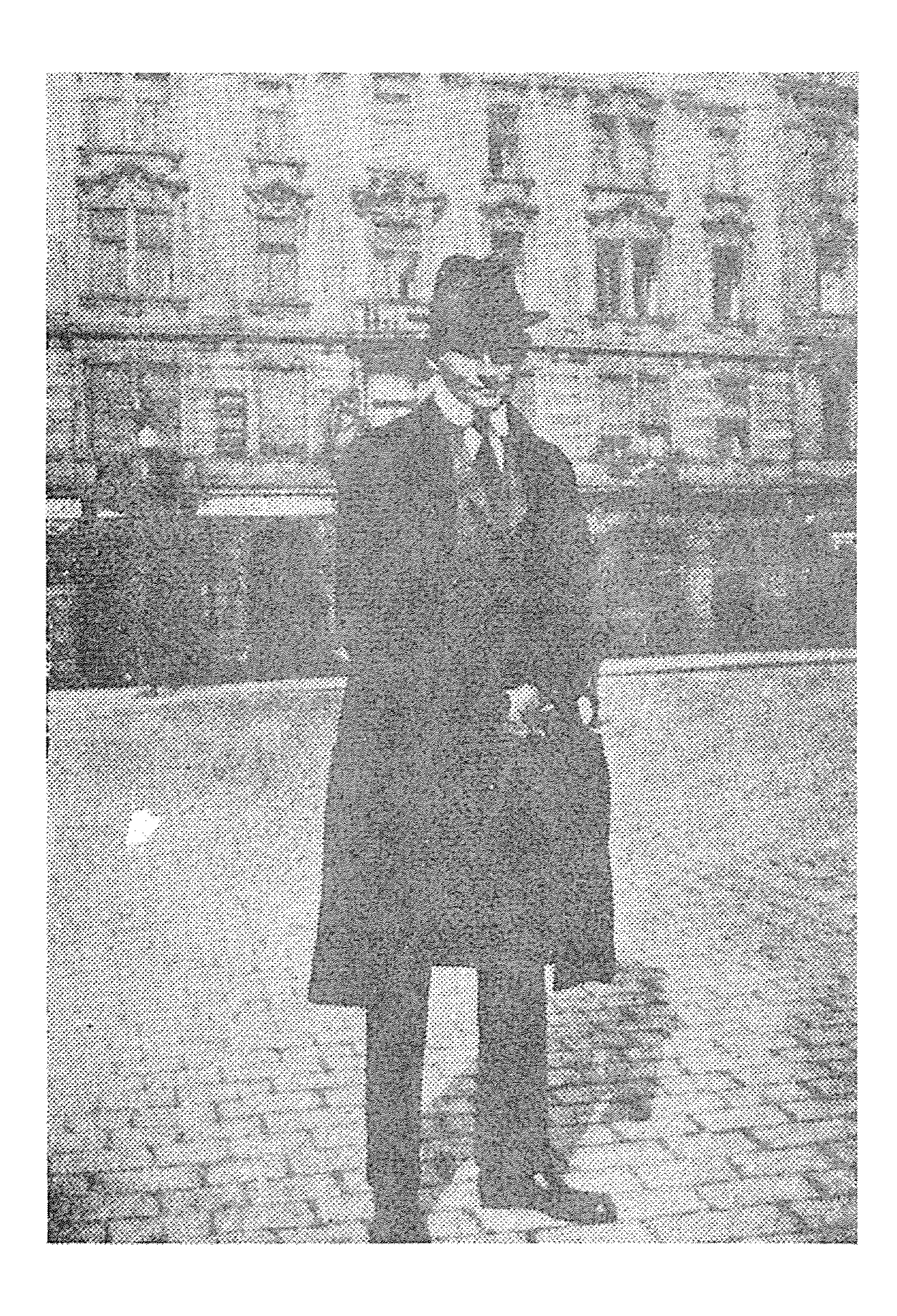
دورا دیامنت

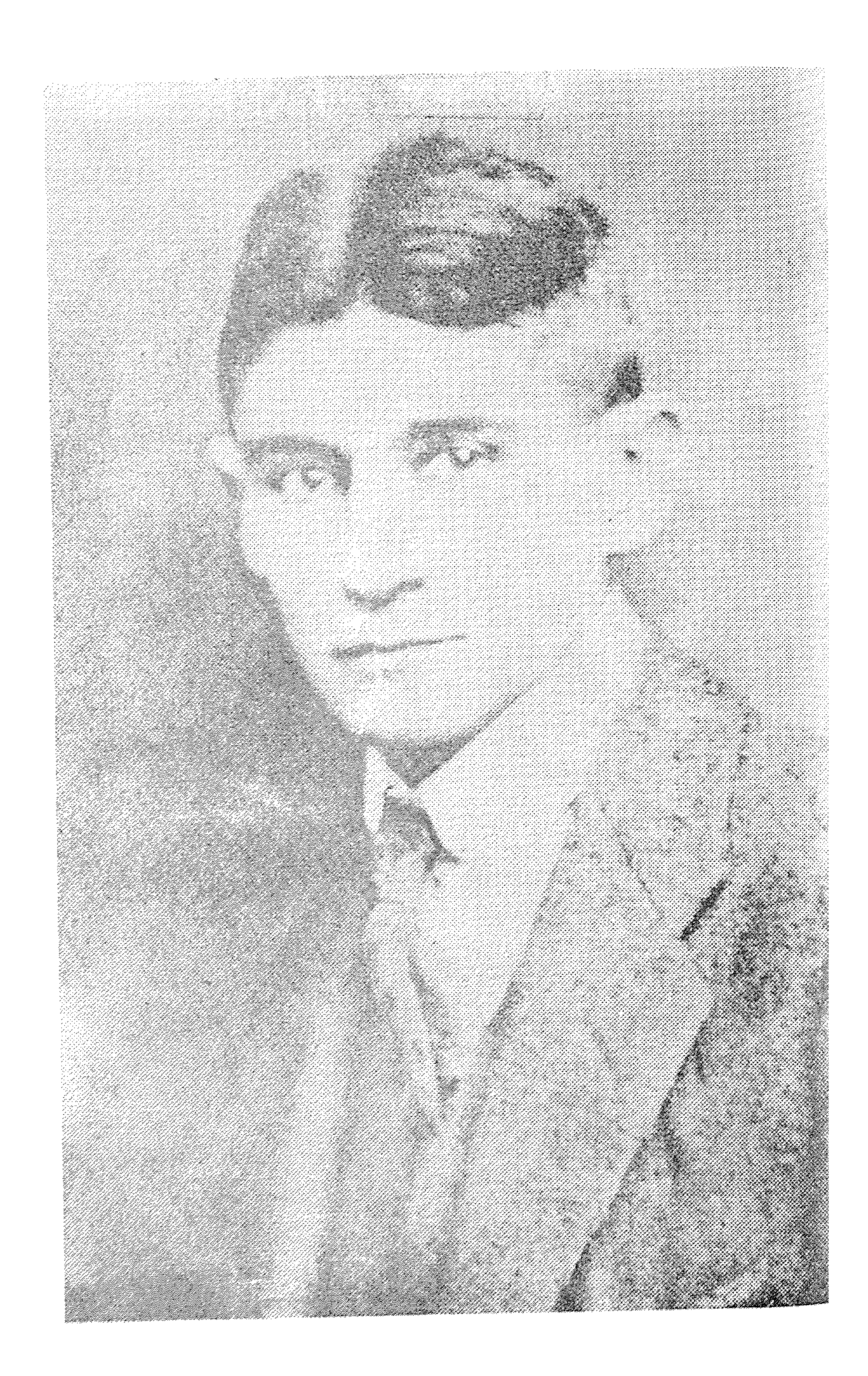




ماکس برود　　　　　　فلیکس فلیتشت









میلینا

تواريخ فى حيـاة كافكا

١٨٨٣	ولادة فرانز كافكـــا فى براغ الآن عاصـــمة تشيكوسلوفاكيا •
١٨٨٩	بداية مرحلة الدراسة الأولية •
١٨٩٣	بداية مرحلة الدراسة الثانوية •
١٩٠١	كافكا يبدأ دراسة القانون فى الجامعة الألمانية فى براغ ثم ميونيخ •
١٩٠٦	حصوله على اجازة القانون •
١٩٠٧	العمل بالشركة العـامة الايطالية للتأمينات فى براغ •
١٩٠٨	الانتقـال للعمل فى معهـد تأمينـات الحوادث الحكومى فى براغ •
١٩٠٩	كافكا يبـدأ حيـاته الأدبيـة بنظم ونشر بعض الأشعار •
١٩١٠	كافكا يبدأ فى تحرير مذكراته •
١٩١٠/١٩١١	زيارة باريس وبرلين وزيوريخ وميلانو •

١٩١١ كافكا ينشر دراستيه « اجراءات منع الحوادث فى المصانع والمزارع » و « التأمين على حوادث العمال » .

١٩١٣/١٩١٧ التعرف على فيليس باور ، وبدء مراسلتها ، ثم خطبته الأولى ثم الثانية لها .

١٩١٣/١٩١٤ زيارة برلين وفيينا والبندقية .

١٩١٥ الفوز بجائزة فونتانا الأدبية ، وترك كافكا لمنزل والديه الى شقة مستقلة .

١٩١٧ التأكد من الاصابة بمرض السل .

١٩١٩ خطبته لجولى فوهرتزيك .

١٩٢٠ حصوله على اجازة نهائية من عمله .

١٩٢١ التعرف على ميلينا جيسنسكا / بولاك .

١٩٢١/١٩٢٤ كافكا يتردد على مصحات عديدة فى تشيكوسلوفاكيا وألمانيا والنمسا .

١٩٢٣ التعرف على دورا ديمانت .

١٩٢٤ وفاته فى كيرلنج ودفنه بالمدافن اليهودية فى براغ .

قديس هذا العصر ؟

يقول الأديب الانجليزى جيه • بى • بريستلى ان كافكا : لم يكن كاتبا ، وانما كان مناخا • وقد وجد فيه أدباء نهاية العشرينيات ، ثم الثلاثينيات ، الهواء المخصب الذى استنشقوه •

وهذا حقيقى • فكافكا ، على ما قيل ، « كاتب وكتابات » و « مذهب وصفة » • ان مجرد ذكر اسمه ، يدل على نوع كتاباته • ومذهبه هو مذهب الغموض ، والحيرة ، وعدم الفهم • والصفات التى تتوارد الى الذهن من كتاباته هى الخوف ، والعجز ، والبشاعة •

ويقول الشاعر دبليو • ايتش • أودين : اذا كان لنا أن نحدد المؤلف الذى اقترب أكثر من غيره من ترجمة أعمال عصره ، على ما فعل دانتى وشكسبير وجيته فى عصورهم ، فان كافكا هو أول من يخطر بالبال •

لقد كتب كافكا فى ١٩٠٤ ، أى فى بداية هذا القرن ، الى صديقه اوسكار بولاك :

« ان الكلمة معول ، يجب أن يحطم الثلوج التى فى قلوبنا ! » .

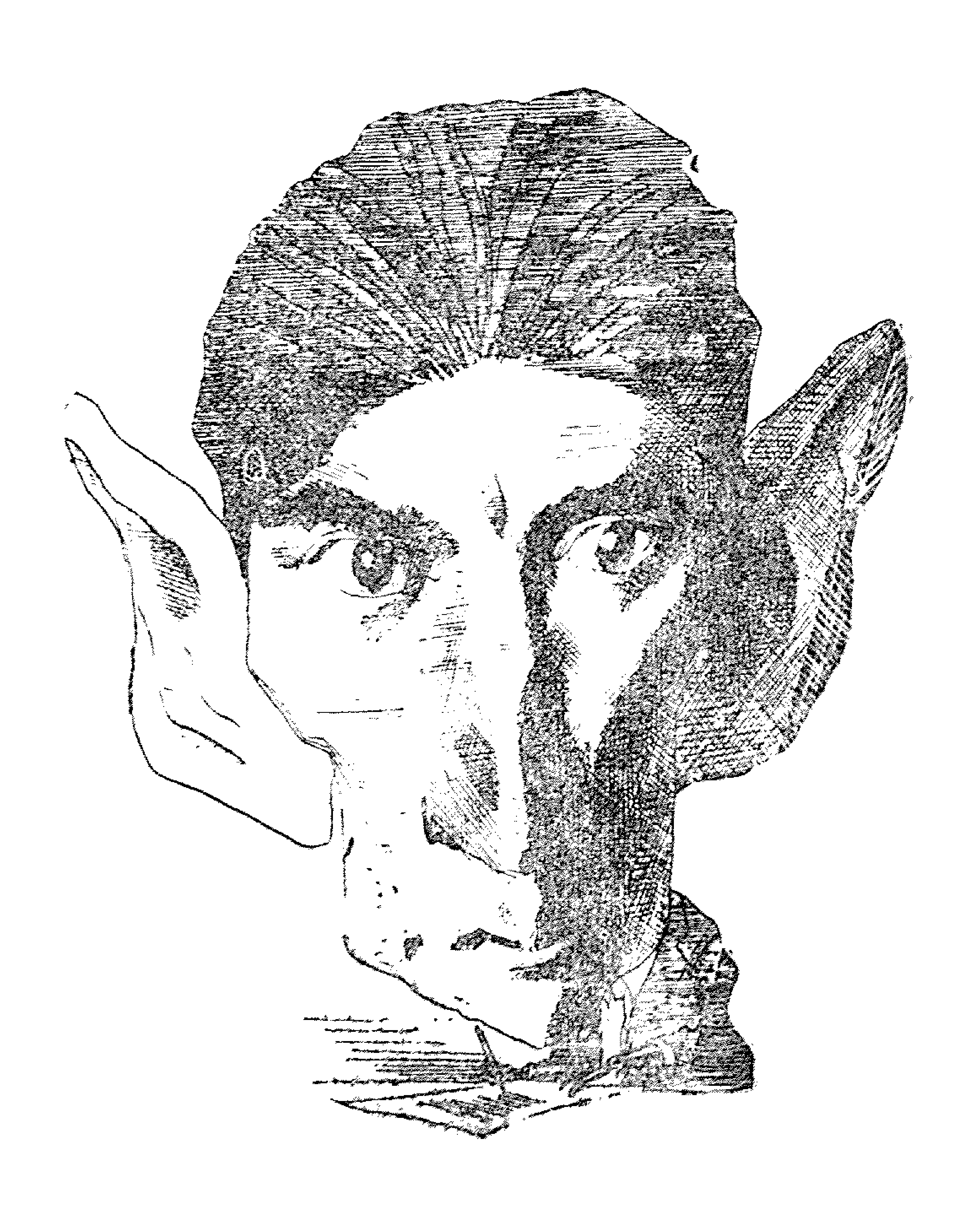
وكتب الى حبيبته فيليس باور بعد ذلك :

« ان سمة حياتى البارزة هى الغضب ، الذى يولده القلق ، والذى يحيل نفسى الى أبخرة سامة عند ملامستها للحياة » .

ويقول ادموند ويلسون : ان كافكا نيوروزى موهوب ، أو عبقرى ثاقب البصيرة . ولكن خطأه هو أنه لم يستطع أن يستغنى تماما عن العالم ،عن أسرته ،عن حبيبته ، عن عمله.. فى سبيل رؤياه المقدسة .. بينما لم يكن يجدر برسول أو داعية مثله أن يترك ايمانه وينشغل عنه بمثل هذه الأشياء !.

ويقول جورج شتينار : ربما كان السبب وراء كابوس كافكا هو حساسيته ونيوروزيته . ولكن هذا لا يقلل بحال من جديته وأهميته . فقد ملك ، كمعظم علماء الانسانية ، أفكارا رائعة ، وبصيرة نافذة . فرأى فى « المحاكمة » تأصيل الدولة الارهابية القادم ، وأحس بساديتها وهستيريتها ، وهى تمد بأذرعها فى دخائل حياة الانسان الحديث .

وأما برتولد بريشت، فيعتبر كافكا قصاصا فاشلا : لأنه أراد أن يكون كما كان كونفوشيوس ، معلما عظيما ، ولكن من دون المجتمع والناس الذين جاءهم كونفوشيوس .



كافكا بريشة الفنان اليهودى العالمى ليفين

والغريب أن كافكـــا كان قد كتب لحـــبيبته فيليس فى ٦ مارس ١٩١٦ •

« آه لو كنت صينيا •• حقا اننى صينى » •

وكتب كافكا أيضا :

« اننى أرحب بالخلود ، ولكننى لو ظفرت به لكنت حزينا » •

***

ما الذى أراده كافكا ؟

يقول بريستلى ان كافكا قد تعرض منذ البداية لعدد من الاحباطات التى طاردته ، وأقلقته ، وعــذبته بقية حيـــاته • علاقاته بوالده ، مرضه الخطير ، يأسه من اليهودية ، عجزه الجنسى ••• الخ • وان هذا كله قد وجهه ناحية البحث عن « حقيقة الروح الانسانية التى تمثل المحبة الالهية » •

ولا عجب أن تتنازع كافكـــا مدارس عديدة ، منها الى جانب المدارس : العقلانية ، والطبيعية ، والنفسية التحليلية، المدارس الماركسية ، والروحية ، والدينية • أن كلا من هـــذه المدارس قد نظر الى كافكا من زاوية محددة ، ومن دون أن يرى مجموعه • وقد « غلبت عليه » المدرسة النفسية التحليلية فى الأربعينات • واعتبرته المدرسة الماركســـية غرا « وقع بين براثن البيروقراطية المتجمــدة فى نهـــاية الامبراطورية » الهنجارية النمســـاوية •



نصب كافكا
بالمدافن اليهودية ببراغ

ان روايات كافكا ، وقصصه ، وعباراته ، تدور كلهـــا حول «الرجل العصرى»•وتنفرد برؤياه المتميزة التى يضمنها صوره الصريحة أو الرمزية التى تتراوح بين القصد والعبث ، والتحديد والضياع ، والجد الهزل • ولكن هذه الصور لا تخلو مما هو حقيقى ، ولا تنتهى من دون بصيص أمل ، أو حتى شعاع ضوء فى نهاية الطريق •

وأبطـــال كافكا أكثرهم من الرجـــال • وهم يعيشون فى عالم غريب عنهم ، لا يفهمهم ، ولا يفهمونه • فهم عاجزون ، رغم حسن نيتهم ، ومحاولاتهم الجادة ، عن تلبية رغبة تلك « القوات » أو « السلطات » التى تحركهم • فعندما يقبض عليهم ، لا يدرون السبب • وعندما يتهمون بجريمة ، يشعرون بالذنب دون أن يعرفوا جريمتهم • وعندما ينهضون لعمل ، يقفون من دون اتمامه أمام عقبات غير منظورة •

ورغم أن هـــذه الصور تفيض بآلام ومشاكل الانســـان الحديث ، وقد تخرج عن الواقع وتغرق فى الخيال ، حتى لقد شبهت بالأحلام ، فانهـــا لا تخلو من فكاهة كافكا البشـــعة أو المفحمة أو حتى الساذجة •

هذه هى فلسفة كافكا ، وصوره ، وشخصياته ، يصفها كلهـــا فى أسلوب دقيق ، واضح ، ومبـــاشر ، وسلس • بل أن اسلوب كافكا قد عد من الأساليب الممتازة ، الجديرة بحمل أفكاره العميقة والغامضة •

شخصيات فى قصص كافكا

بدأ كافكا تجاربه فى كتابة القصة القصيرة والأشعار منذ صباه • ولكنه اعدم أكثر تلك التجارب الأولى . فلم يتبق لنا سوى قصته « وصف صراع » وأجزاء من روايته « استعدادات زواج فى الريف » وقصته « طائرات بريسيتا » التى كتبت فى الفترة بين ١٩٠٣ و١٩٠٩ • ثم روايته « أميركا Amerika » التى كتبت بين ١٩١١ و ١٩١٤ ، ولم تنشر حتى ١٩٢٧ •

وتعـــد « أميركا » أنضج تلك الأعمـــال الأولى • وهى النموذج الذى يحتذيه كافكا بعد ذلك فى العديد من أعمـــاله التالية • فان بطلها ستوكر يسىء الى عمه • ولكن الجريمـــة غير واضحة • فماذا فعل ستوكر على التحديد ؟• وهل تستأهل جريمته عقاب عمه له ؟•

وقو كتب أشعار كافكا خلال تلك الفترة الأولى كذلك ، ونشرت فى « التأملات Betrachtung » • وقد فاز كافكا من أجلها بجائزة فونتانا ، وكان لهـــذا الفوز اليـــد الطولى فى تقديمه الى الحياة الأدبية فى براغ •

يقول كافكا فى « التأملات » :

« يشكو الكثيرون من أن كلمات الحكماء تؤلف المواعظ التى لا مكان لوجودها فى الحياة اليومية • وهى الحياة الوحيدة التى نعرفها • فعندما يقول الحكيم : اذهب الى هناك ، فانه لا يعنى أن علينا أن نذهب الى مكان محدد ، وهو ما نستطيعه على كل حال لو كان العمل يستأهل جهدنا • ولكن الحكيم يطلب منا فى الحقيقة عملا حسنا ، لا يعرفه على وجه الدقة ، ولا نستطيع نحن أيضا أن نحدده ، وقد لا يفيدنا الا قليلا • فنحن لا نفهم الموعظة لأننا لا نعرفها • ولكننا نعرف هموم الحياة اليومية •

« وبهذه المناسبة ، سئل رجل يوما عن أسباب تردده •

« وبهذه المناسبة ، سئل رجل يوما عن أسباب ترددنا •
وأجاب : انكم لو اتبعتم المواعظ لأصبحتم أنتم أنفسكم مواعظ • وبهذا تتخلصون من همومكم اليومية •

« فقال آخر : اراهن أن ما قلته موعظة •

« فأجابه الأول : لا • لقد كسبت الرهان •

« فقال آخر : ولكنه للاسف موعظة •

« فأجاب الأول : لا ـ ففى الحقيقة ، أنك قد خسرته فى الموعظة » •

***

ثم كتب كافكا قصته الشهيرة « الحكم Das Urteil » التى سبقت الاشارة اليها • وقد نشرت فى ١٩١٣ • وأهداها

Die Aeroplane in Brescia.

Von **Franz Kafka** (Prag).

Wir sind angekommen. Vor dem Aerodrom liegt noch ein großer Platz mit verdächtigen Holzhäuschen, für die wir andere Aufschriften erwartet hätten, als: Garage, Grand Büfett International und so weiter. Ungeheure in ihren Wägelchen fettgewordene Bettler strecken uns ihre Arme in den Weg, man ist in der Eile versucht, über sie zu springen. Wir überholen viele Leute und werden von vielen überholt. Wir schauen in die Luft, um die es sich hier ja handelt. Gott sei Dank, noch fliegt keiner! Wir weichen nicht aus und werden doch nicht überfahren. Zwischen und hinter den Tausend Fuhrwerken und ihnen entgegen hüpft italienische Kavallerie. Ordnung und Unglücksfälle scheinen gleich unmöglich.

Einmal in Brescia spät am Abend wollten wir rasch in eine bestimmte Gasse kommen, die unserer Meinung nach ziemlich weit entfernt war. Ein Kutscher verlangt 3 Lire, wir bieten zwei. Der Kutscher verzichtet auf die Fahrt und nur aus Freundschaft beschreibt er uns die geradezu entsetzliche Entfernung dieser Gasse. Wir fangen an, uns unseres Anbotes zu schämen. Gut, 3 Lire. Wir steigen ein, drei Drehungen des Wagens durch kurze Gassen, wir sind dort, wohin wir wollten. Otto, energischer als wir zwei andern, erklärt, es falle ihm natürlich nicht im geringsten ein, für die Fahrt, die eine Minute gedauert hat, 3 Lire zu geben. Ein Lire sei mehr als genug. Da sei ein Lire. Es ist schon Nacht, das Gäßchen ist leer, der Kutscher ist stark. Er kommt gleich in einen Eifer, als dauere der Streit

صفحة من الطبعـــة الاولى من قصة كافكا

« طائرات بريســـيا »

كافكا الى حبيبته فيليس باور • وقد كانت « الحكم » شكلا جديدا فى الحبكة والأسلوب • فان الأب يسأل ابنه عن حقيقة وجود صديقه جورج ، ويقول له :

« **لا تخدعنى ، وقل لى ، هل لك حقا صديق فى سانت بيترسبورج ؟** » •

ثم يعود فيقول انه يعرف صديقه هذا ، ويمدحه ، ويتهم ابنه بخيانة صديقه اذ يفشى قصته •

***

وفى خلال هذه الفترة ، كتب كافكا أيضا قصته « الوقاد » التى نشرت فى ١٩١٣ ، ثم « المسخ Die Verwandlung »

التى نشرت فى ١٩١٥ • ويظن اريك هيللر أن كافكا قد تأثر فى كتابة القصة الأخيرة بمؤلف دستويفسكى « خطابات من تحت الأرض » • وكان كافكا قد قرأ تلك المؤلفات وخلف فى مكتبته نسخا كاملة منها • ويقول ديستويفسكى فى قصته : اننى أحب أن أصرح لكم أيها السادة •• بالسبب الذى من أجله لم أصبح حشرة •• اننى أعلن لكم بكل جد أننى كثيرا ما رغبت أن أكون حشرة ، واننى عجزت مرارا عن تحقيق رغبتى •

ولكن كافكا يصور فى قصته « المسوخ » تحول البائع الجائل سامسا الى حشرة ضخمة يحتار أهل منزله فيما يمكن أن يصنعوا بها • فهم لا يستطيعون أن يعرضوها على أقاربهم وجيرانهم • والابنة الكبرى تكبر وتبحث عن عريس ، فماذا عساهم يقولون لخطابها ؟•

وفى خريف ١٩١٤ ، أي بعد ثلاثة أشهر من فسخ خطبته الأولى لفيليس ، كتب كافكــا قصــته « مســتعمرة المذنبين In Der Strafkolonie » ، وقد نشرت فى ١٩١٩ .

وتصور « المستعمرة » جنديا قد أذنب ، اذ أغفى خــلال نوبته ، فقدم للمحــاكمة . وقاضيه هو نفسه قائده ، ومخترع ماكينــة الموت التى سيموت بهــا ، وجــلاده الذى سينفذ فيه الحــكم . والقــائد فخور بماكينته ، فهو يغسل يديه قبــل أن يلمسها ، ويعرض دخائلها على أحــد زواره . والزائر يسأل القائد : هل يعرف الجندى لماذا يقتل ؟ . فيجيبه القائد : لا . فما جدوى هذا وهو سيموت على كل حال . ولكنه سيعرف حين نبدأ فى انزال العقاب به .

وفى خــلال الساعات الست التى تقوم فيهــا الماكينــة بعملها ، يأخذ الجندى فى تدبر أسباب العقاب الذى ينزل به . « ولكنه لا يراه بعينيه ، وانما يحسه بجروحه » .

وتمثل الصورة التى يرسمها كافكا فى « المســتعمرة » نموذجا لأساليبه وأفكاره.فان القائد يهتم بالشكل الذى تجرى به المحاكمة ، ولكن الجندى لا يعرف طبيعة الذنب الذى اتهم به ، أو القــانون الذي يحــاكم على أساسه ، وأسباب قسوة العقاب الذى ينزل به .

وتعتبر رواية « المحاكمة Der Prozess » احدي روائع كافكا التى قد لا ينافسها فى الروعة سوي « القلعة » . وكان

كافكا قد بدأ رواية « المحاكمة » فى نفس الوقت الذى بدأ فيه قصة « مستعمرة المذنبين » أى عقب فسخ خطبته الأولى لفيليس فى ١٩١٤ • ولكنم لم يتم روايته حتى وفاته •وترمز حروف اسم بطلتها « اف » و « فريدا » و « فراولين بيرسير » الى اسم حبيبته فيليس باور • وهنا أيضا نشهد محكمة بطل الرواية « جوزيف كيه » موظف البنك الكبير ، الذى ينتظر فى كاتدرائية المدينة وصول ضيفه المالى الايطالى ، كى يسيحا فى المدينة • ولكن الضيف لا يحضر • وقد أرخى الليل سدوله ، أو ربما هبط الضباب الكثيف على المدينة، وجوزيف يشك الآن فى امكانهما رؤية شيء حتى لو حضر ضيفه •

ولكن يلوح أن الايطالى كان رسول القضاة لايصال جوزيف الى الكاتدرائية • وها هم قضاته الآن فوق منبرها ، وقسيسها يقوم بعمل مدعى الاتهام • والقسيس يتهدده بسوء المصير ، ويطالبه بألا يعقب على كلمات قضاته • وجوزيف يقول له : ولكننى لست مذنبا • ويضيف : « وهل يكون الانسان موضع ذنب • اننا كلنا براء » • ويوافقه كاتب الجلسة ، ويقول : هذا حقيقى • ولكن ما تقوله لا يردده الا المذنبون •

كل هذا ، وجوزيف لم يعلن بعد بجريمته • ولكن المحكمة تنتهى الى أنه قد أذنب • والى أن عليه أن يموت بطعنة سكين ذات حدين ، سكين جزار ، فاذا ما بلغ نصل السكين قلبه ، أديرت السكين حول نصلها مرتين •

والغريب أن كافكا كان قد كتب فى يومياته قبل هذا بثلاثة أعوام (١١ نوفمبر ١٩١١) :

صفحة من كتابات كافكا فى « المحاكمة »

« لقد أصابتنى السعادة مرة أخرى هذا الصباح اذ فكرت ان سكينا ذات حدين قد اخترقت صدرى الى قلبى ودارت فيــه مرتين » •

وبينما تجرى محاكمة جوزيف كيه ، يحضر أحد القرويين ويريد دخول قاعة المحكمة • ولكن الحاجب يمنعه من دخولها ، ويقول له : ليس الآن • فيسأله القروى : ومتى ؟ • هل يمكن لى الدخول بعد ذلك ؟ • فيرد الحــاجب ، ربما • ولكن ليس الآن •

ولكن لحظة دخول الفلاح لا تجيء أبدا • لأنه ، بعد أن استعطف الحارس ، ثم رشاه ، وتهدده « وتعرف على كل قملة على ياقة قميصه » انكمش ، وعمى ، وصم ، ثم مات •

ولكنه لم ينس قبل أن يموت أن يردد للحاجب : ان واجب كل مواطن أن يعرف القانون ، وأن يكون رقيبا عليه • فكيف لم يدخل شخص قبلى الى قاعة المحكمة طوال هذه السنين ؟• فيسر الحاجب فى أذنه ، وقد أحس بدنو أجل الفلاح : ان هذا الباب الذى أحرسه قــد خصص لك وحــدك ، وحيث انك لم تدخله ، فلن يسمح لغيرك بدخوله ، وسأغلقه الآن أبديا •

القلعــة أروع مؤلفــات كافكا

كتب كافكا بين ١٩١٤ و ١٩١٧ عددا من القصص القصيرة، أهمها « مدرس القرية » و « الطبيب الريفى » • وقد نشرت فى ١٩١٩ • و « الصياد » ومجموعة « حائط الصين الكبير » • وقد نشرت فى ١٩٣١ • وفى ١٩١٩ كتب « خطــاب الى أبيه » الذى تحدثنا عنه • ثم فى ١٩٢١ قصة « فنان الجوع » وقــد نشرت فى ١٩٢٤ • وفى ١٩٢٢ رواية « القلعة Das Schloss » وقد نشرت فى ١٩٢٦ • ثم قصة « تحقيقــات كلب » • وقــد نشرت فى عام كتابتها ١٩٢٢ • وفى ١٩٢٣ قصة « الجحر » • وفى ١٩٢٤ قصة « المغنيــة جوزفين » • وقــد نشرتا فى عامى كتابتهما ١٩٢٢ و ١٩٢٣ على التوالى •

وربما كانت رواية « القلعة » هى أروع مؤلفــات كافكا على الطلاق • و « القلعة » رواية رمزية ، لم يستطع مؤلفهــا أن ينمها قبل وفاته • وان ترك الى جانبها مسودة يوضــح عليها بعض رموزها • وتعالج « القلعة » الموضوع المفضل عند كافكا ، وهو موضوع الخروج على « السلطة » والعقاب الذى ينتظر من يقوم بهذا العمل•وبطل الرواية هو المساح « كيه » الــذى يصل فجأة الى قرية يمتلكها صــاحب القلعة القريبة « كام » • وهو يحاول أن يمسح حدود القرية • ولكن أهلهــا لا يصــدقونه ، ويعارضونه • فمن الذى طلب اليه أن يمسح قريتهم ؟• ان حدودها معروفة منذ عشرات السنين ، فما الذى تغير فيها حتى تمسح مرة أخرى ؟•انهم لا يصدقون أن حاكم لقلعة كام قد طلب منه هذا •

ولكن كام يتصل به تليفونيا ، ويشجعه • فقد سمع بمـا يدور فى القرية ، وهو يطالب اليه أن يمضى فى عمله ، وقد عين له المساعدين لمساعدته •

والمســاح كيه رجل بارع وحصيف • فهو يتصل بأعوان كام فى « القلعة » ويحاول أن يستميلهم • وهو يخطب عشيقة كام السابقة للزواج ، ويفكر فى مساومة كام بها •

***

وفى « تحقيقات كلب » التى تركها كافكا مسودة غير كاملة يتحدث عن أحد « أبنــاء الأسرة الكلبية » ممن خرجوا على أبناء جنسه ، فيقول :

« ان أخطاء أجدادى كانت بلا حدود • لقد كانوا مستطيعين أن يروا الطريق ، وأن يرجعوا لو شاءوا عما هم فيه • ولكنهم كانو يؤثرون المضى فى حياتهم الكلبية • فقد كانت جميلة ، وممتعة • ولم يكونوا يستطيعون التنبؤ بما نعرفه نحن الآن من حوادث التاريخ » •

الى أن يقول :

« أن التغيير يبدأ فى الروح قبل أن يظهر فى الحياة • وقـد كان من الضرورى أن يغير أجدادنا روح كلابنا القديمة ، المتخمة عيونها بالمـلذات ، كى تضع أقدامها على بداية جديدة » •

ويقول كافكا ان الكلاب قد خرجت على أهم القوانين التى تحكم مجتمعها :

« •• لقد طرحوا جانبا كل أمارات الخجل ، وأخذوا يأتون بكل سخيف وغير أخلاقى ، حتى أصبحوا يمشون على أرجلهم الخلفية • أف لهم ! • لقد تعروا • بل هم يزهون بعريهم •

بل انهم لم يعودوا يلحظون عريهم • ان هذه جريمة منأشنع جرائم الـكلاب • لقـد أراد الكلب المحقق أن ينصحهم ، وأن يزجرهم ، وكان من الممكن له أن ينجح ، ولكن أصوات الكلاب الأخرى أسكتته ، جعلته يخر على قدميه عجزا ويأسا • وما هو الا قليل حتى اختفت الكلاب وأصواتها فى الظلام الذى عنه تولـدت » •

وفى قصة « المغنية جوزفين » التى لم تتم هى الأخرى ، تعلن المغنيـــة أن كل أملهـــا فى الحيـــاة هو أن تظفر برضـــاء معجبيها • ومع هذا ، فهى تقرر الامتنـــاع عن الغنـــــاء ، بل وتختفى تماما عن الأنظار :

« **لأن ماتريـــده جوزفين فى قلبها يخـــالف مـــا يخرج على لسانها** » •

***

لم يتم كافكا حتى وفاته فى ١٩٢٤ سوى ربع الانتاج الذى عمل فيـــه ، وبقيت ثلاثة أرباعه ناقصة ، أو كمـــا يقول بريستلى : لا عجب انه لم يستطع اتمام هـــذا الانتـــاج الذى يسهل بدؤه ويصعب انهاؤه •

وكان كافكا قد ترك تعليماته لصديق عمره ماكس برود بأن يعدم كل ما يمكنه من انتاج غير منشور • ولكن برود لم يفعل • بل أخذ بعد ذلك فى نشر كل ما يستطيعه منه •

ومن أهم هذا الانتاج : ثلاث روايات ، هى « أميركا » و « المحاكمة » و « القلعة » وحوالى ٣٠ قصة • بالاضافة الى أشعاره ، ويومياته التى صدرت فى مجلدين ، ورسائله لأسرته وأصدقائه ومعارفه ، وقد صدرت بعد وفاته فى أربعة مجلدات•

أهم أعمال كافكا

١٨٩٩/١٩٠٣	كافكا يبدأ تجاربه فى كتابة القصص والروايات ويعدمها •
١٩٠٤/١٩٠٩	كتابه « وصف صراع » ، وأجزاء من روايته « استعدادات زواج فى الريف » وقصته « طائرات بريسيا » ، وبداية نشره لأشعاره •
١٩١١/١٩١٤	يكتب « أميركا Amerika » وقد نشرت فى ١٩٢٧ ، و « التأملات Betrachtung » وقد نشرت فى ١٩١٣ ، و « الحكم Das Urteil » وقد نشرت فى ١٩١٣ ، و « الوقاد » وقد نشرت فى ١٩١٣ ، و « المسخ Die Verwandlung » وقد نشرت فى ١٩١٥ •
١٩١٤	يكتب كافكا رواية « فى مستعمرة المساجين In Der Strafkolonie » وقد نشرت فى ١٩١٩ •
١٩١٤/١٩١٥	كتابة « المحاكمة Der Prozess » وقد نشرت فى ١٩٢٥ •
١٩١٧	يكتب مجموعة « حائط الصين الكبير » وقد نشرت فى ١٩٣١ •
١٩١٩	يكتب « خطاب الى أبيه » وقد نشر فى ١٩٦٨ •

١٩٢١/١٩٢٤ يكتب قصة « فنـــان الجوع » وقـــد نشرت فى ١٩٢٤ •

١٩٢٢ يكتب رواية « القلعة Das Schloss » • وقـــد نشرت، فى ١٩٢٦ •

وأهم المسودات التى تركها كافكا :

قصة « تحقيقات كلب » •

وقصة « المغنية جوزفين » •

المراجـــع

(بالاضافة الى مؤلفات كافكا ويومياته ورسائله)

د. **مصطفى ماهـر** القضية لكافكا : تراث الانسانية ١٩٥٧ .

صفحات خالدة من الأدب الالمانى ١٩٧٠ .

القصر لكافكا ١٩٧١ .

د. **عبد الغفار مكاوى** الطريق والفضيلة .

جورج حنين وآخرين لمحات عن كافكا ١٩٥٤ .

Brod, Max: Franz Kafka, a Biography .

Flores, Angel, Ed : The Kafka Problem.

Heller, Erich : The World & Frans Kafka,

Janouch, Gustav : Couversatins With Kafka. Notes and Reminiscences

Wagenbach. Klaus: Franz Kafka. Eine Biographie Seiner Jugend.

فهرســـــت

صفحة

صبـــا موزع بين شوبنهور وديه ساد ٥
الاشباح تطارد كافكا ١١
أتزوجك ٠٠ وأخونك كل ليلة مع كتاباتى ؟! ١٧
خطاب كافكا يضل طريقه الى والده ٢٣
لحظات من السعادة التى اشتهاها وخافها ٢٩
تواريخ فى حياة كافكا ٤٩
قديس هــذا العصر ٥١
شخصيات قصص كافكا ٥٧
القلعة أروع مؤلفات كافكــا ٦٥
أهم أعمال كافكا ٦٩
المراجــع ٧١

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

رقم الايداع بدار الكتب
٨٢ / ٣٨٣٢

شركة دار الصفا للطباعة
١٤ ش عبد الحميد ـ جنينة قاميش
السيدة زينب ـ القاهرة

المستقبل بالفجالة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

قرش جنية
١,٥

912
0
18

